اي من العذاب وانت حي بما نريد او نريد اصحابك قبل وفاتك فذلك شافيك
من اعدائك والوعد الخير من خير مضمون والوعيد الخبر عن شر مضمون والمعنى
ههنا عليه وسماه وعدا لتنزيلهم اياه في طلبه منزلة الوعد **او نتوفينك**
اي قبل ان نريك ذلك فلا لوم عليك ولا عتب **فانما عليك البلاغ** اي ليس عليك
الا تبليغ الرسالة اليهم وليس عليك ان تجازيهم ولا ان تاتيهم بالمقترحات
والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ واما فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة
وعلينا الحساب اي علينا ان نحاسبهم يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم
فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم تنبيه قال ابو حيان هنا شرطان
لان المعطوف على الشرط شرط فيقدر لكل شرط ما يناسبه ان يكون جزاء مرتبا
عليه والتقدير واما نرينك بعض الذي نعدهم فذلك شافيك من اعدائك
وان نتوفينك قبل حلوله بهم فلا لوم عليك ولا عتب وقد مرت الاشارة الى
ذلك ولما وعد تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بان يريه بعض ما يعدهم او يتوفاه
قبل ذلك بين تعالى ان اثار حصول تلك المواعيد وعلاماتها قد ظهرت وقويت
بقوله تعالى **اولم يروا** اي كفار مكة **انا نأتي الارض** اي ارض هولاء الكفرة
ننقصها من اطرافها مما يفتح الله تعالى على المسلمين من ديار الشرك ارضا بعد
ارض موالي ارضهم هذا قول ابن عباس وقال قتادة وجماعة وقال مجاهد
هو خراب الارض وقبض اهلها وعن عكرمة قال هو قبض الناس وعن الشعبي
مثله وعطاء وجماعة نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء ويؤيد هذا ما رواه
عمرو بن العاص انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
لا ينقص العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ
الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا وقال الحسن قال
عبد الله بن مسعود عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب اهله وقال
علي انما مثل الفقهاء كمثل الاكف اذا اقطعت لم تعد وقال سليمان لا يزال الناس
بخير ما بقي الاول حتى يتعلم الاخر واذا هلك الاول قبل ان يتعلم الاخر هلك
الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك علمائهم
ثم اثبت تعالى لنفسه امرا كليا فقال **والله** اي الملك الاعلى **يحكم** في خلقه
بما يريد لانه **لا معقب** اي لا راد لان المعقب يرد الشيء بعد فصله **لحكمه**
وقد حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره
تنبيه محل جملة لا معقب لحكمه النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه
كما تقول جاء زيد لا عمامة على راسه ولا قلنسوة تريد حاسرا **وهو** عز وجل مع
تمام القدرة **سريع الحساب** فيحاسبهم عما قليل في الاخرة بعد ما عذبهم
بالقتل والاجلاء في الدنيا وقال ابن عباس يريد سريع الانتقام يعني حسابه
بالمجازاة بالخير والشر مجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين

بايصاله

بايصاله الثواب اليهم وقد تقدم الكلام على معنى سريع الحساب قبل هذا وقوله
تعالى **وقد مكر الذين من قبلهم** اي من كفار الامم الماضية قبل مكروا بانبيائهم مثل نمرود
مكر بابراهيم وفرعون مكر بموسى واليهود مكروا بعيسى فيه تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم وقوله تعالى **فلله المكر جميعا** اي مكر جميع الماكرين حاصل بتخليقه وارادته
لانه تعالى هو الخالق لجميع اعمال العباد فالمكر لا يضر الا باذنه ولا يؤثر الا بتقديره
فيه امان له صلى الله عليه وسلم من مكرهم فكانه قيل اذا كان حدوث المكر من الله
وتاثيره في الممكور به من الله وجب ان لا يكون الخوف الا من الله تعالى لا من احد
من المخلوقين وذهب بعض المفسرين الى ان المعنى فلله جزاء المكر وذلك انهم لما
مكروا بالمومنين بين الله تعالى انه يجازيهم على مكرهم قال الواحدي والاول اظهر
القولين بدليل قوله تعالى **يعلم ما تكسب كل نفس** اي ان اكساب العباد معلومة
لله تعالى وخلاف المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل
والترك فكان الكل من الله فيجازيهم على اعمالهم وفي ذلك وعيد وتهديد للكفار الماكرين
ثم انه تعالى اكد ذلك التهديد بقوله تعالى **وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار** اي العاقبة
المحمودة في الدار الاخرة الهم ام للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو بالالف بعد الكاف على الافراد والكاف مفتوحة والفاء مكسورة
مخففة والباقون بالالف بعد الكاف المضاء على الجمع فالكاف مضمومة والفاء
مفتوحة مشددة من قرا بالافراد اراد الجنس كقوله تعالى ان الانسان لفي خسر
ليوافق قراءة الجمع وقال عطاء المستهزئين وهم خمسة والمقتسمين وهم ثمانية
وعشرون وقال ابن عباس يريد ابا جهل قال الرازي والاول هو الصواب
اي ليوافق قراءة الجمع كما مر ولما تقدم قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
اية عطف عليه بعد شرح ما استتبعه قوله تعالى **ويقول الذين كفروا لست مرسلا** اي
لكونك لا تاتي بمقترحاتهم مع انه صلى الله عليه وسلم لم يفعل يوما انه قادر عليها فكانه
قيل فما اقول لهم فقال تعالى **قل** لهم **كفى بالله** الذي له الاحاطة الكاملة **شهيدا**
اي بليغ العلم في شهادته بالاطلاع على ما ظهر وما بطن **بيني وبينكم** يشهد بتاييد
رسالتي وتصحيح مقالتي بما اظهر لي من الاية واوضح من الدلالة بهذا الكتاب ويشهد
بتكذيبهم بادعائكم القدرة على المعارضة وترككم لها عجزا وهذا اعلى مراتب الشهادة
لان الشهادة قول يفيد غلبة الظن بان الامر كما شهد به والمعجزة فعل مخصوص يوجب
القطع بكونه رسولا من عند الله واختلف في قوله تعالى **ومن عنده علم الكتاب** فروي
العوفي عن ابن عباس انهم علماء اليهود والنصارى اي ان كل من كان عالما من اليهود
بالتوراة ومن النصارى بالانجيل علم ان محمدا نبي مرسل من عند الله لما يجد من
الدلائل الدالة على نبوته فيها شهد بذلك من شهد به وانكره من انكره منهم والثاني
ان المراد شهادة اهل الكتب من الذين امنوا وهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي
وتميم الداري وقال الحسن ومجاهد والزجاج وسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1